الاشارة الى قتاله العدو الاسرائيلي سنة ١٩٤٨ متفردا عن بقية الشخصيات الاخرى ، والى كونه ايضا الوحيد الذي يحظى بوصف جسماني دقيق : « طويل القامة جدا ، نحيل جدا ، ولكن عنقه وكفيه تعطي الشعور بالقوة والمتانة ٠٠» (٧٥) وهو حين يبتسم يعلن « ابتسامة واسعة » وتنشق « شفتاه عن صفين من الاسنان الكبيرة الناصعة البياض »٠٠ (٨١ ـ وانظر ٨٣ ـ ١٠١ ـ ١١٤ ـ ١١٥ ٠٠٠)

في الحين الذي يمثل فيه مروان موقع الاغرار السريعي الاغترار والحماس ، كما عبر عن ذلك حماسه في الاسراع بالموافقة على قرار اسعد بالسفر مع ابي الخيزران ، ولكن كذلك عبر اتفاقه المسبق مع ابي الخيزران وحادثته مع سمسار البصرة السمين ٠٠٠ ويمثل فيه ابو قيس ايضا موقع العجزة المنساقين في الركب دون ان يكونوا متمكنين من اتخاذ قرار مستقل ، خاصة بانفراد عن الجماعة ٠٠٠ انهما يمثلان في سلوكهما ومواقفهما عفوية وبساطة جماهير واسعة من الناس حد السذاجة على تفاوت كذاك القائم بين العجز والقصور ٠

على المستوى اللغوي يتمثل هذا الوضع العام باشارات بالغة الرهافة ٠ فالنص الروائي يغلب عليه في لغة السرد التي يستعملها ضمير الغائب (الشخص الثالث : هو) في التعبير عن كل من الشخصيات المعنية ، بينما يحتل ضمير المخاطب المستعمل للذات (الشخص الثاني : انت / بدل انا) المركز الثاني ، ويأتي اخيرا ضمير المتكلم للتعبير عن الذات (الشخص الاول : انا) في الموقع الثالث ٠

واذا كانت غلبة الضمير الغائب تعبر في البنية الرمزية العامة للرواية عن العجز البنيوي العام الذي يسم المرحلة الفلسطينية المعنية ، عن غياب الشخصية الوطنية (النضالية) المستقلة للشعب الفلسطيني ، وبالتالي عن طمس وجوده الوطني ٠٠ وعن موته ، فان ضمير المخاطب والمتكلم يستدعيان فهما اخر ٠ فاستعمال صيغة المخاطب للتعبير عن الذات يأتي دلالة عن استيعاب الذات من قبل الاخرين او وقوعها تحت سطوتها بشكل لا يمكن معه التوجه الى الذات الا ضمن صيغ التوجه الى الاخرين لاقناعهم بأمر ما او موقف خاص ٠ أو أيضا ضمن صيغ توجه الآخرين هؤلاء الى الذات لاقناعها هي بأمر او موقف ٠٠ بينما يجري في التوجه الى الذات بصيغة المتكلم تأكيد على استقلالية الذات وقدرتها على الاكتفاء وتعبير عن مدى قوتها الخاصة ٠٠٠

لذلك فان غياب اسعد الوحيد بين هذه الشخصيات الاربع الفلسطينية التي تستعمل ثلاث منها فقط صيغة المخاطب خارج الحوار ـ في السرد ـ وفي التوجه الى الذات ـ للمتكلم ـ تأكيد لوضعه القادر على مستويات عدة والقوي الذي يتيح له ان يبقى خارج نطاق العجز والقصور اللذين يسمان بقية الشخصيات في هذا السفر ٠

بينما يعبر غياب مروان الوحيد بين تلك الشخصيات التي تعتمد ثلاث منها فقط صيغة المتكلم في لغة السرد تعبيرا عن الذات ، عن قصور ذاتي في النضج والبلوغ على مستويات عدة كما اشرنا الى ذلك سابقا في مغامرة السفر هذه التي ينخرط فيها ٠